

مرتعا للإرهاب أو الفوضى.

ومن ثم فإن الذين يريدون أن يدعوا «حكمتهم» بفزاعة الإرهاب والفوضى في حالة نزول هزيمة بقوات الاحتلالين في العراق وفلسطين إنما يقيمونها على أرجل خشبية لا تقوى على الصمود حين يُردّ عليها بقراءة الواقع كما هو.

ثانياً: الحجة الأخرى تنطلق من أن الإدارة الأمريكية في مأزق وهي مستعدة للتراجع جزئياً (وهذا عظيم جداً وفرصة!). وقد حوّلت ملف العراق وفلسطين والشرق الأوسط الكبير (ملف الدول العربية) من وزير الدفاع دونالد رامسفيلد إلى وزير الخارجية كولن باول (وهذه فرصة!). ولهذا فإن الحكمة تقتضي بضرورة اغتنام هذا التحول «الهام» الذي كشف عنه عدم استخدام الفيتو الأمريكي ضد قرار مجلس الأمن الذي طالب الدولة العبرية باحترام التزاماتها الدولية في رفع، أو كما تكشف قبولها بواسطة الأخضر الإبراهيمي في العراق.

حسناً: ما المطلوب؟ «الحكمة» تقتضي وقف المقاومة والانتفاضة والتسليم بتهدئة كل شيء على ضوء خطة شارون في فلسطين والسير وفقاً لاقتراحات الإبراهيمي في العراق. أما على مستوى لبنان وسوريا فمن الممكن التقدّم بتنازلات لا تجعل الأمريكيين يتمسكون بكل شروطهم. فيكفي في كل الحالات أن يتمسكوا بتسعة أعشارها ويتنازلوا

عن العشر للإبراهيمي وللمجلس الأمن وللدول العربية المعنية حتى تتحقق الصفقة الرابعة. وتلكم الحكمة في هذه المرحلة التي تواجه فيها إدارة بوش المأزق الخانق.

وإذا كان هناك من سيقول إن بوش سيعود سيرته الأولى بمجرد خروجه من المأزق وإعادة انتخابه، فإن الحكمة تقتضي أن تكسب هذه اللحظة الآن ويبني عليها بعد ذلك. وبهذا يكون منطوق أولئك «الحكماء» هبط بهم إلى الدرك الأسفل عندما يلخصون «الحكمة» السياسية بانجاز وهمي وخاسر ومؤقت، خوفاً من النتائج غير المحسوبة لهزيمة الاحتلالين أو لفشل سياسات بوش «الشرق أوسطية».

من هنا فإن التقدير الصحيح للموقف والذي يقول إن الظرف الراهن فلسطينياً وعراقياً وعربياً وإقليمياً، ورأياً عاماً عالمياً، وفي مقابله الظرف الخانق الذي يواجهه بوش، فشل عسكري وسياسي في العراق وفلسطين، وفضائح يندى لها الجبين، وعدم قدرة على تفاهم حقيقي مع حلفاء يريدون إنقاذه من نفسه ويخافون عليه من هزيمته، إلى جانب أزمة داخلية حيث اهتزت شعبيته وارتفعت أسهم منافسه. ثم مأزق حليفه شارون الذي إذا واصل ارتكاب جرائم الحرب عمق مأزقه وخرب على بوش أكثر، وإذا تراجع كانت هزيمة مجلجلة. ولهذا فإن الحكمة الحقيقية تقتضي، عكس تلك «الحكمة» المزيفة، ألا ينقذ بوش وشارون من الهزيمة، وعدم الخوف من النتائج من خلال التهويل بفزاعة الفوضى والإرهاب. ■

القنابل أو إطلاق قذائف على الحشود في عاشوراء، أو ارتكبت جرائم الاغتيالات أو ضربت ضد مراكز الشرطة، أو هيئة الأمم أو السفارات، هي من التنظيمات المشار إليها بالإرهابية. فحتى هذه جاء بها احتلال العراق وسمح بها مناخ الإرهاب الذي مارسه الاحتلال، ولم يزل، ابتداء بالقتل والاعتداءات والنهب وتدمير الدولة، ومروراً بالقصف العشوائي والقتنص كما حدث في الفلوجة والنجف وكربلاء وبغداد والأنبار، وانتهاء (ليس بمعنى النهاية) بالجريمة المروعة التي ارتكبت بحق عرس في قرية القائم. هذا ناهيك عن الفضائح الأمريكية في سجون ومراكز الاعتقال ومثالها سجن أبو غريب. وهذه بالصورة والصوت.

علماً أن تضخيم دور تلك القوى إن وجدت حقيقة (لأن الأعمال المشار إليها تدخل في دائرة الشبهات التي تصل إلى الموساد) يكذب ما تكشف عنه معارك الفلوجة والنجف وكربلاء. مما يؤكد أن القوى التي وراء المقاومة الحقيقية ضد الاحتلال الأمريكي، على اختلاف توجهاتها، نابعة من الشعب العراقي وملتزمة بخط سياسي لا علاقة له من قريب أو بعيد بما تعبّر عنه البيانات الصادرة عن تنظيم «القاعدة»، أو عن الزرقاوي، أو أسماء أخرى مشابهة. كما أن الإشارة إلى المتطوعين العرب وأعدادهم أبطلت صدقيتها الفلوجة ناهيك عن

الأنبار والموصل والنجف وكربلاء والناصرية والبصرة وبغداد. فالشعب وممثلوه وأبناؤه كانوا المقاومة (بكل أشكالها التي يجيزها الشرع). وباختصار نحن أمام فزاعة كاذبة وتقدير موقف وهمي، هذا إذا أحسنا الظن علماً أن ثمة خشية من أن يكون الدافع وراء التخويف من انسحاب قوات الاحتلال من العراق هو الخوف من الشعب العراقي ومن تمكنه من بناء عراق بعيد عن الهيمنة الأمريكية، وبقيادة قوى ممثلة حقاً لغالبية الشعب. وهذه هي الضمانة الفعلية لحماية العراق من أن يصبح مرتعاً للإرهاب والفوضى.

وهذان (الإرهاب والفوضى) لا يترعرعان إلا في المياه العكرة التي نمودجها كل حوض تحركه العصا الأمريكية والصهيونية.

أما حجة الفوضى والإرهاب فكيف يمكن أن تطبق على قطاع غزة في حالة انسحاب القوات الإسرائيلية مهزومة منه وبلا قيد أو شرط. فمن جهة لم تعرف تجربة انتفاضة الأقصى والمقاومة في فلسطين ذلك النمط من التنظيمات التي تتبنى عمليات من طراز ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ في أمريكا، أو ١١ آذار/مارس في إسبانيا، أو تضجيرات عاشوراء في العراق، أو الاغتيالات بسبب المواقف السياسية أو الانتقام (أو لأي سبب كان). فالقوى التي سترث الاحتلال في فلسطين معروفة، ولا يستطيع أحد أن يهتمها بأنها ستجعل من الأراضي التي ينسحب منها الاحتلال

نظرية وقوع العراق في الفوضى، وتحولها إلى مسرح للإرهاب إذا انسحبت القوات الأمريكية ليست صحيحة وإن بدت في الظاهر منطقية. فالفوضى خرجت بسبب وجود الاحتلال الأمريكي